

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٧٨)

تحذير المؤمنين من الإحداث في الدين

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١] أما بعد:.

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وشر

الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. ^(١)

أيها الناس :.

إن الله تعالى قد خص سبحانه نفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْخَلْقِ وَالْإِخْتِيَارِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨]

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: يخبر تعالى أنه المنفرد بالخلق والاختيار، وأنه ليس له في ذلك منازع ولا معقب. (١) هـ.

فالله سبحانه هو الذي خلق الخلق وفاضل بينهم وهو يعلم أفضلهم وأحبهم إليه وما ترك الله للعباد الاختيار لأن ذلك من أمور الغيب التي اختص الله بعلمها فقال سبحانه ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]

فمن ادعى فضيلة أمر ما من قول أو فعل أو ذات لم يثبت الله له فضيلة فقد افترى على الله تعالى الكذب وادعى ما ليس له.

وأيضاً أن ذلك - أعني الاختيار والتفضيل - من القول على الله بغير علم ، فمن ادعى أن هذا الشيء أو الفعل أفضل عند الله ولم يكن ذلك راجع إلى نص من الوحيين كان قائل ذلك والعياذ بالله ممن هو قائل على الله بغير علم.

والله تعالى يقول ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْأَلْبَتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢]

(١) . عند تفسيره لسورة [القصص: ٦٨]

فالتفضيل مرده إلى الشرع لا إلى العقل قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو كان الدين بالرأي، لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه وقد رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمسح على ظاهر خفيه . رواه أبو داود صححه الألباني والوادعي ^(١)

وعن نافع مولى ابن عمر رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ رجلاً عطس إلى جنب ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقال: الحمد لله، والسلام على رسوله! قال ابن عمر: وأنا أقول: الحمد لله والسلام على رسول الله وليس هكذا علمنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمنا أن نقول: الحمد لله على كل حال. أخرجه الترمذي حسنه الألباني رحمه الله ^(٢)

فعقول العباد تتفاوت وتختلف فقد يستحسن ويفضل أحدهم ما يستقبحه غيره وهكذا فيحصل الخلاف والاختلاف قال الله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]

ولذا كان أمر ذلك متوقف على نصوص الوحيين قال الله تعالى ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مِمَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣] ثم أيضا هذه الفضيلة التي ثبتت بنصوص الكتاب والسنة يتوقف فيها على ما ورد في الشرع ولا يتعدى في ذلك إلى مجاوزة الحد فيها وإلا كان ذلك اعتداء على الشرع واستدراك عليه عيادا بالله.

فيقف المسلم حيث وقف نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه جزما لا يوجد من هو أعلم وأحرص على الخير والعمل به منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كيف لا وهو القائل عنه

(١) . صحيح . أبو داود [١٦٢] الصحيح المسند [٩٦٧] وصحيح أبي داود - (١ / ٢٨٨)

(٢) . حسن . الترمذي [٢٧٣٨] صحيح وضعيف سنن الترمذي - (٦ / ٢٣٨)

نفسه كما عند مسلم من حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا "أَمَّا وَاللَّهِ! إِنِّي لَأَتَقَاكُم لِلَّهِ، وَأَخْشَاكُم لَهُ" ^(١)

و من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ " قَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَتَقَاكُم لِلَّهِ وَأَصْدَقَكُمْ وَأَبْرَكُمْ ". متفق عليه ^(٢)

وأيضا لا أحد أعلم بما يريد الله تعالى من عباده ، ولا ما يرضيه منهم ، منه عليه الصلاة والسلام فإنه المبلغ عن الله تعالى دينه وشرعه قال الله تعالى ﴿يَتَأْتِيَهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]

فلا دين إلا دينه ولا هدي إلا هديه وسنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَمَا آءَانَكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]

ولا أسوة ولا قدة إلا به عليه الصلاة والسلام قال جل وعلا ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]
ولا يقبل الله عملا من العبد مهما بلغ اجتهاده فيه إلا بموافقة لسنته وطريقته
فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " متفق عليه ^(٣)

(١). " بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْقُبْلَةَ فِي الصَّوْمِ لَيْسَتْ مُحَرَّمَةً عَلَى مَنْ لَمْ تُحَرِّكْ شَهْوَتُهُ " برقم [١١٠٨]

(٢). البخاري [٦٩٣٣] مسلم [١٢١٦]

(٣). البخاري [٢٥٥٠] مسلم [١٧١٨]

لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ما ترك أمرا من أمور الخير والقربى إلى الله تعالى إلا ودل الأمة عليه ولا أمر شر وسوء إلا وحذر أمته منه فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال " إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم " أخرجه مسلم ^(١)

وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ " ما بقي من شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بُيِّنَ لكم " أخرجه الطبراني وصححه الألباني رحمه الله. ^(٢)

فهو عليه الصلاة والسلام حريص على هداية أمته وصلاحهم قال الله تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]

قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ : حريص على ضالهم ان يهديه. ١. هـ رواه ابن أبي حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ ^(٣)

وكل عبادة لم يتعدها عليه الصلاة والسلام فهي باطلة مردودة على صاحبها لا يحبها الله ولا يرضيها ولا يقبلها منه، وإن ظن أنها تقربه إلى الله تعالى فإنها يزداد بها من الله بعدا وسخطا قال الله تعالى ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [١٠٣] الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]

(١) . " باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، الأول فالأول " برقم [١٨٤٤]

(٢) . صحيح. الطبراني [١٦٤٧] السلسلة الصحيحة (٤ / ٣٠٢) برقم [١٨٠٣]

(٣) . عند تفسيره لسورة [التوبة: ١٢٨]

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وهذا حال أرباب الأعمال التي كانت لغير الله عز وجل أو على غير سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. (١) هـ.

لأن الله إن كان يحبها ويرضاها ما تركها أتقى الخلق وأخشاهم له، والدين قد اكتمل في حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فلا يحتاج إلى زيادة فيه ولا إلى نقصان منه قال الله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣]

فما فعله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان الدين والسنة في فعله وما تركه عليه الصلاة والسلام كان الدين والسنة في تركه، وهذا ما فهمه أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فإنه عليه السلام حين امتنع عن أكل الضب تركه أصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وقالوا أحرام هو؟ فأخبرهم أنه ليس في أرض قومه ونفسه تعافه وأذن لهم بأكله، فقد تقرر هذا عندهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أن ما تركه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان الواجب تركه لأن ذلك هو دينه وشرعه.

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: ما اتفق على تركه فلا يجوز العمل به لأنهم ما تركوه إلا على علم أنه لا يعمل به قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ: خذوا من الرأي ما يوافق من كان قبلكم فإنهم كانوا أعلم منكم. هـ. (٢)

فمن فعل ما تركه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقد استدرك على نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لأنه

(١). «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ٧٨ ط عطاءات العلم)

(٢). فضل علم السلف على الخلف - (١ / ٤)

يزعم أنه قد اهتدى إلى أمر خير وبر وطاعة وعبادة لم يهتد إليها نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم أو أنه عليه الصلاة والسلام قد غفل عنها وقد علمها وتغفل عنها هذا المسكين أو أنه عليه الصلاة والسلام تكاسل عنها وفرط فيها وكل ذلك والعياذ بالله كفر وردة.

قال الإمام مالك رحمه الله تعالى : من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم خان الرسالة، لأن الله يقول ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣] فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً. ١. هـ^(١) ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : باب العبادات والديانات و التقربات متلقاة عن الله ورسوله، فليس لأحد أن يجعل شيئاً عبادة أو قربة؛ إلا بدليل شرعي. ١. هـ^(٢)

ومن استحسن شيئاً من العبادات فقد شرع كما قال الإمام الشافعي رحمه الله. والتشريع من خصائص رب العالمين قال الله تعالى ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٢١]

والواجب على العباد هو التسليم والإذعان والانقياد لله ولرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال الله تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]

(١). الاعتصام. للشاطبي (١ / ٤٩)

(٢). مجموع الفتاوى - (٣ / ١٦١)

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ " ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فخذوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا " متفق عليه ^(١)

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما قَبَّلَ الحجر الأسود: إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقبلك ما قبلتك. ا. هـ ^(٢)
وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فيم الرملان - وهو الإسراع في المشي حال الطواف في الثلاثة الأشواط الأولى فقط - الآن والكشف عن المناكب وقد أظهر الله الإسلام ونفى الكفر وأهله؟ ومع ذلك لا ندع شيئاً كنا نفعله على عهد رسول الله. ا. هـ ^(٣)

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم. ا. هـ ^(٤)
وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر. ا. هـ ^(٥)

وقال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كل عبادة لم يتعبدوا أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فلا تتعبدوها فإن الأول لم يدع للآخر مقالا. ا. هـ ^(٦)

(١) . البخاري برقم [٦٨٥٨] مسلم برقم [١٣٣٧]

(٢) . مصنف ابن أبي شيبة - (١ / ١) برقم [١٥٤٠١]

(٣) . «شعب الإيمان» للبيهقي (٣ / ٤٥٧ ت زغلول) [٤٠٦٣]

(٤) . «العلم لزهير بن حرب» (ص ١٦) برقم [٥٤]

(٥) . «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١ / ٩٧)

(٦) . «الاعتصام للشاطبي ت الهالبي» (٢ / ٦٣٠)

فوظيفة المسلم حيال الكتاب والسنة هي التسليم والاستسلام لها وعدم الاستدراك عليه أو التقدم بين يديه قال الله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١]

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: أي لا تقولوا حتى يقول ولا تفعلوا حتى يأمر قال بعض السلف: ما من فعلة وإن صغرت إلا ينشر لها ديوانان: لم وكيف أي لم فعلت وكيف فعلت فالأول سؤال عن علة الفعل وباعثه وداعيه... فالأول سؤال عن الإخلاص والثاني عن المتابعة فإن الله سبحانه لا يقبل عملاً إلا بهما. (١)

وأيضاً ألا يتجاوز ما حده له الشارع سبحانه قيد أنملة وتأمل إلى هذا الحديث العظيم الذي يُعد معلماً للمسلم وقاعدة يمشي عليها العبد في دينه فعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ "أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولُهَا إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَإِنْ مِتَ مِنْ لَيْلَتِكَ مِتَ عَلَى الْفِطْرَةِ وَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصْبَحْتَ وَقَدْ أَصْبَحْتَ خَيْرًا تَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ أَمْتَبَكْتَابُكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَنَبِيَّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ" قال البراء: فقلت وبرسولك الذي أُرسلت قال: "فقطعن بيده في صدري ثم قال ونبيك الذي أُرسلت" متفق عليه (٢)

فتأمل كيف أنكر عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قوله "وبرسولك" بدل قوله "ونبيك" لما

(١). إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان - (١ / ٨)

(٢). البخاري [٢٤٤] مسلم [٢٧١٠]

كانت تلك اللفظة هي التي وردت عن الشارع أوقفه عليها ونهاه عن تعديها إلى غيرها ليدلك على أن الأمر استسلام وكفى.

ورأى سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللهُ رجلاً يصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين يكثر فيهما الركوع والسجود فنهاه فقال : يا أبا محمد يعذبني الله على الصلاة؟! قال : لا ولكن يعذبك على خلاف السنة .١. هـ رواه البيهقي^(١)

وفي الاعتصام للشاطبي رَحِمَهُ اللهُ أن مالك بن أنس رَحِمَهُ اللهُ أتاه رجل فقال : يا أبا عبد الله من أين أحرم ؟ قال : من ذي الخليفة من حيث أحرم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقال : إني أريد أن أحرم من المسجد . فقال : لا تفعل . قال : فإني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر . قال : لا تفعل فإني أخشى عليك الفتنة .

فقال : وأي فتنة هذه ؟ إنما هي أميال أزيدها . قال : وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصّر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم إني سمعت الله يقول ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [النور: ٦٣].^(٢)

فتأمل إلى شدة إنكار السلف على من جاوز ما حده الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ . وخذ بوصية الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ اللهُ حيث قال : فاصبر

(١) . سنن البيهقي الكبرى (١ / ٢) برقم [٤٤٤٥]

(٢) . «الاعتصام للشاطبي ت الهلالي» (١ / ١٧٤)

نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح؛ فإنه يسعك ما وسعهم. ا.هـ^(١)

رزقني الله وإياكم اتباع كتابه وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وجنبي الله وإياكم ملات الأهواء والأدواء والأخلاق. والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

ألا وإن مما اختار الله تعالى وفضله لهي هذه الأشهر الحرم التي قال الله فيهن ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكََ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَدْ نِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: في هذه الأشهر المحرمة؛ لأنه أكد وأبلغ في الإثم من غيرها، كما أن المعاصي في البلد الحرام تضاعف، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ يُظْلَمِ نُذُقُهُ مِنْ عَذَابِ إِلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥] وكذلك الشهر الحرام تغلظ فيه الآثام، وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: في كلهن، ثم اختص من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حراما، وعظم حُرْمَاتِهِنَّ، وجعل الذنب فيهن أعظم، والعمل الصالح والأجر أعظم، وقال قتادة في قوله: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِ أَنْفُسَكُمْ﴾ إن الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرا، من الظلم فيما سواها، وإن كان الظلم على كل حال عظيما، ولكن الله يعظم من أمره ما يشاء. ^(١) هـ.

ومن الأشهر الحرم شهر رجب، وقد أحدث الناس في هذا الشهر بدعا كثيرة ومنكرات عظيمة لم يكن عليها هدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وقد حذر العلماء منها قديما وحديثا وألفوا في بدع شهر رجب رسائل.

وقد كذب الوضاعون على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ووضعوا أحاديث في فضائل هذا الشهر لا يثبت منها شيء البتة قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: لم يرد في فضل رجب ولا في صيامه ولا في صيام شيئا منه معين ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديث صحيح يصلح للحجية وقد سبقني إلى الجزم بذلك الإمام أبو إسماعيل الهروي الحافظ... وأما الأحاديث الواردة في فضل رجب، أو فضل صيامه، أو صيام شيء منه صريحة، فهي على قسمين: ضعيفة، وموضوعة. ^(٢) هـ.

(١). عند تفسيره لسورة [التوبة: ٣٦]

(٢). تبين العجب بها ورد في فضل رجب - (١ / ٩)

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وكل حديث في ذكر صوم رجب وصلاة بعض الليالي فيه فهو كذب مفترى. اهـ المنار المنيف^(١)

ومن تلك الأحاديث الضعيفة "إن في الجنة نهراً يقال له رجب ماءه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل من صام يوماً في رجب سقاه الله من ذلك النهر" وحديث "رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي" وحديث "رجب شهر الله الأصم من صام من رجب يوماً إيماناً واحتساباً استوجب رضوان الله الأكبر" وغير ذلك من الأحاديث المخترعة المكذوبة وقد علمت أنه لا يصح منها شيء عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

وكذلك أحدث الناس فيه بدعا عظيمة ومنكرات ما أنزل الله بها من سلطان منها ما يلي:.

تخصيصه بصيام دون غيره وتخصيص ليلاته بقيام دون غيره من الشهور وقد نهى عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذين يصومون في رجب وأمرهم بالفطر، ومن المحدثات أيضاً صلاة الرغائب في أول جمعة من شهر رجب وقد أحدثت بعد المائة الرابعة من هجرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولم تكن تعرف قبل ذلك مما يدل على أنها لا خير فيها لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" متفق عليه من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(٢)

(١) . «المنار المنيف في الصحيح والضعيف - ط عطاءات العلم» (١ / ٨٤)

(٢) . البخاري [٢٥٠٩] مسلم برقم [٢٥٣٣]

فلو كانت خيرا ما تُركت هذه السنوات كلها قال الإمام النووي الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: واحتج به العلماء - يعني حديث لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ... الحديث - على كراهة هذه الصلاة المبتدعة التي تسمى صلاة الرغائب قاتل الله واضعها ومخترعها فإنها بدعة منكرة من البدع التي هي ضلالةٌ وجَهالةٌ ، وفيها مُنكَرَاتٌ ظَاهِرَةٌ ، وَقَدْ صَنَّفَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ مُصَنَّفَاتٍ نَفِيسَةً فِي تَقْيِيحِهَا وَتَضْلِيلِ مُصَلِّيِّهَا وَمُبْتَدِعِهَا ، وَدَلَالِ قُبْحِهَا وَبُطْلَانِهَا وَتَضْلِيلِ فَاعِلِهَا أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تُنْخَصَرَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . ١٠ هـ^(١)

ومن البدع الاحتفال بالإسراء والمعراج في ليلة السابع والعشرين منه وقد اختلف أهل العلم في تحديد أي ليلة كانت تلك الليلة فقليل في ربيع ورجحه بعضهم وقيل في شوال وقيل في رجب وقيل في رمضان وما ذاك إلا لأنه لم يرد نص صحيح عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأيضا أن معرفة ذلك مما لا فائدة فيه فلذلك لم يرد تعيين ذلك. ومن البدع أيضا زيارة مسجد الجند في تعز في أول جمعة منه ويسمونه حج المساكين زعموا ويا ليت شعري من أين لهم معرفة ذلك والوحي قد انقطع بموته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، وكم يحصل عند ذلك من المنكرات العظيمة من امتهان حرمة بيت الله بأكل القات فيه واللغو والسخب ورفع الأصوات بالقصائد الشركية والترانيم البدعية واختلاط الرجال بالنساء وغير ذلك والله المستعان. فيا معاشر المسلمين إن الله تعالى قد جعل الهداية في اتباع السلف الأوائل وعلى رأسهم

(١) . «شرح النووي على مسلم» (٨ / ٢٠)

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وصحابته الكرام فقال الله تعالى ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٣٥]

وقال عليه الصلاة والسلام " فإنه من يعيش منكم بعدي فسيري اختلافا كثيرا فعليكم بستتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة " أخرجه أبو داود وغيره من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحسنه الوادعي والألباني رحمهما الله. ^(١)

فمن ادعى شيئا مما سبق فليأت بالبرهان قال الله تعالى ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول كما من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا " البينة على المدعي " أخرجه الترمذي وصححه الألباني ^(٢)

فالدين مبني على اتباع الكتاب والسنة لا الأهواء والبدع واستحسنات العقول كما ذكرنا قبل فتمسكوا بهدي نبيكم وعظموا سنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فهي سبيل النجاة وإياكم والبدع فإنهن سبل الردى والغوى قال الله تعالى ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]

أعاذني الله وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن والحمد لله رب العالمين.

(١) . صحيح. أبو داود [٤٦٠٧] الجامع الصغير [٤٣١٤] حسن. «الصحيح المسند» (٢/ ٢٠) [٩٢١]

(٢) . صحيح. الترمذي [١٣٤١] «الجامع الصغير وزيادته» برقم [٥٢٠٨]